مجلة الدراسات الإيرانية
Journal for Iranian Studies

مجلة الدراسات الإيرانية

دراسات وأبحاث علمية متخصصة

مجلة علمية نصف سنوية محكمة تصدر باللغتين العربية والإنجليزية

السنة الرابعة – العدد الثاني عشر – أكتوبر 2020

تصدر عن

RASANAH
المعهد الدولي للدراسات الإيرانية
International Institute for Iranian Studies

إيـــران والأزمـــة فـــي لبنـــان

د. مثنـــى العبيـــدي

باحـثٌ في الشـؤون الإقليميَّـة والدوليَّـة

ملخـــص

تتناول هذه الدراســة حدود تأثير إيــران على الأزمة في لبنان، وذلك من خلال الكشف عن مستويات حضور إيران على هذه الساحة، ولا سيَّما على المستويات السياسيَّة والاقتصاديَّة والأمنيَّة والعسكريَّة وكذلك حضورها الناعم ذو الأبعاد الثقافيَّة والمذهبيَّة، بالإضافة إلى معرفة مدى تأثير هذا الحضور ومدى تأثيره في تفاقم أزمة لبنان السياسيَّة والاقتصاديَّة والأمنيَّة وما آلت إليه الأوضاع اللبنانية من هشاشة وضعف، جعل لبنان في ظرفٍ اســتثنائي، وفي وقتٍ تتزايد فيه الأزمة وتتفاقم، فإنَّ تزايد نفوذ إيران في لبنان يمنحُها فرصةً للبقاء والاســتمرارية وربما تعزيز هذا النفوذ، لكن في الوقت نفسه هناك تحديَّات عديدة قد تؤدي إلى تراجع هذا التأثير، سوف تسعى هذه الدراسة إلى تغطية هذه الجوانب مع الأخذ بالاعتبار التطورات الأخيرة التي تشهدها لبنان.

مقدمــة

تُعَد إيران الدولة الإقليميَّة الأكثر تدخلًا في شــؤون دول المنطقة، وقد أجادت اســتغلال البيئة المُضطربة التي تمرُّ بها بعض هذه الدول مِن أجل أن تمُد نفوذها عبر التدخل سياسيًّا أو اقتصاديًّا أو ثقافيًّا وحتى عسكريًّا وأمنيًّا إذا وجدت الفرصة سانحة لذلك. وتُعَد لبنان من الدول العربية التي كان ولا يــزال لإيران فيها دورٌ متعددُ الأبعاد والمجالات، ويمتدُّ هذا الدور إلى عِدَّة عقود وتطورَ بمجالاته المختلفة مستغلًا كل ما مرَّ به لبنان من أزمات داخليَّة واضطرابات، حيث كثَّفت إيران من تدخُلها في شؤون لبنان وشكَّلت ظهيرًا داخليًّا مواليًا لها من أجل التغلغل وبسط السيطرة على مفاصل الدولة اللبنانية والتحكم في قرارها الوطني لخدمة مصالح إيران.

ولا تختلفُ لبنــان عن بقية الدول التي تدخلت فيها إيران من حيث تراجعها وتدهورها اقتصاديًّا وتأزمها سياسيًّا واضطرابها أمنيًّا واجتماعيًّا، حتى وصل الحال بلبنان أنْ أصبحت دولةً شبه فاشلة، تعاني من عدم الاســتقرار السياسي، وعجزت في أغلب الأوقات عن تشكيل حكومةٍ وطنيَّة تتمتع بالمسؤولية، بل تمرُّ السياسة عبر صفقاتٍ طائفيَّة وحزب الله هو الرقم الأهم فيها، فضلًا عن التردي الاقتصادي حتى عجزت حكومتها عن سداد ما ترتَّب عليها من ديونٍ خارجيَّة وصلت نسبتها 155% من دخلها القومي، ناهيك عن غياب الأمن والذي كانت أبرز صوره كارثةُ انفجار مرفأ بيروت التي كشفت الغطاء عن حدود وقوع لبنان أسيرةَ مغامرات حزب الله حليفُ إيران وكيفية توظيف الساحة اللبنانية في إطار صراع أكبر بين إيران وخصومها الإقليميّين، وما تدخُّل حزب الله في سوريا إلَّا تعبيرًا عن الأزمة المُعقدة التي أضحت عليها لبنان.

وقد جاء الحراك اللبناني المُطالب بإسقاط الطبقة الحاكمة المُتَّهمة بالفساد، والتي يُمثِّل حزب الله وحلفاؤه الأغلبية المُتحكِّمة فيها، جاء بوصفه تحديًّا كبيرًا لدور إيران في لبنان، حيث واجه الحراك الــذي كان عابرًا للطائفية الطبقة الحاكمة بحقيقة الأزمة وبدور حزب الله ومِن ثَمَّ إيران في التعقيد الــذي وصلت إليه، وترافق مع الضغوط الداخليَّة ضغوطٌ خارجية تزايدت مع كارثة انفجار مرفأ بيروت تستهدفُ معالجة جذور هذه الأزمة، ولاشكَّ أنَّ هذا الواقع وتطوراته الراهنة يفرضُ ضغوطًا متزايدة على دور إيران في لبنان، وهي ضغوطٌ لا تنفصل عن مســاعي القوى الدوليَّة والإقليميَّة مِن أجل تعديل سلوك إيران الإقليمي والحدِّ من تدخلاتها والفوضى التي أحدثتها في المنطقة.

وتحاولُ هذه الورقة الإجابة عن عددٍ من التســاؤلات المرتبطة بدور إيران في ما تمرُّ به لبنان من أزمةٍ مُتفاقمة وأهم هذه التساؤلات، هي: ما المجالات التي تدخلت فيها إيران في الساحة اللبنانية؟ كيف انعكس الدور الإيراني سلبًا على الوضع في لبنان وساهم في تأزمه؟ ما الفرص والتحديَّات التي تواجهها إيران على هذه الساحة؟

أولًا: طبيعة وأبعاد الدور الإيراني في لبنان

تمتلكُ إيران حضورًا مُهمًّا على الساحة اللبنانية، وأهم مستويات هذا الحضور ما يأتي:

1. التغلغل وتوجيه التفاعلات السياسيَّة الداخليَّة

تُمثِّل لبنــان أهميــةً إســتراتيجية لإيران تتجاوز الروابط الطائفيــة مع الشــيعة اللبنانيين، حيث

تبحثُ إيران عن دورٍ فاعلٍ ومرن على هذه الساحة يُمكِّنها من الولوج إلى المشرق العربي، واستغلال لبنان كورقةٍ مساومةٍ في صراعات إيران الإقليميَّة والدوليَّة[1]. وقد كانت لبنان من أول الدول التي طبقت عليها إيران مبادئ سياستها الخارجيَّة ومنها مبدأ «تصدير الثورة»، وقد نجحت عبر تأسيس حزب الله في لبنان في أنْ تخلق لها وكيلًا سياسيًّا وعسكريًّا، ويعترف الحزب في بيان تأسيسه الصادر عام 1985م بأنه يلتزم بأوامر الولي الفقيه في إيران، وبالمقابل يعتبر قادة إيران أنَّ «دعم الحزب ومساندته سياسيًّا واجبٌ مذهبيٌّ وثوريّ» بحسب تصريحات المرشد الأعلى علي خامنئي[2].

وقد اهتمَّت إيران بالمشاركة السياسيَّة لحزب الله في المجتمع السياسي والمدني اللبناني في إطار حرص إيران على تغيير مهام الحزب من تنظيمٍ مُسلح إلى فاعلٍ سياسيٍّ يُمثِّل جانبًا مُهمًّا من دورها في لبنان[3]، إذ شارك الحزب في كافة الانتخابات اللبنانية منذ عام 1990م، وحتى الانتخابات البرلمانية في 07 مايو 2018م التي كانت مُعطلة منذ عام 2009م، والتي حصل حزب الله وحلفاؤه فيها على 67 مقعدًا بما يزيد عن نصف مقاعد المجلس الـ 128[4]. وقد استبق قائد فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني حينها قاسم سليماني النتائج بإعلان فوز حزب الله وحلفائه فيها إذ نقلت وكالة «فارس» الإيرانية عنه إنَّ «حزب الله حقَّق فوزًا كبيرًا، وحصد 74 مقعدًا من أصل 128»، الرقم الذي لم يُصرِّح به حتى حزب الله نفسه في ذلك الوقت، الأمر الذي يؤكد مدى تأثير إيران على مجريات الساحة السياسيَّة اللبنانية، وأنها حقَّقت في نتائج هذه الانتخابات «نصرًا» لحلفائها في وقتٍ بالغ الأهميَّة والحساسيَّة، تتعرضُ فيه ومحورها لضغوطاتٍ إقليميَّة ودوليَّة قاسية[5].

وتتفاعل إيران مع مختلف أحداث الساحة اللبنانية، فما إنْ انطلقت الاحتجاجات الشعبية في لبنان في 17 أكتوبر 2019م حتى وصفتها إيران بأنَّها مؤامرةٌ على لبنان من قِبَل أمريكا وإسرائيل، وما إنْ تشكلت حكومة حسان دياب في فبراير 2020م على إثر ضغوط ومطالب الشارع حتى زار رئيس البرلمان الإيراني (مجلس الشورى) السابق علي لاريجاني بيروت، كأول زيارةٍ لوفدٍ أجنبي للبنان بعد أقل من أسبوع على تشكيل الحكومة، وصرَّح لاريجاني بأنَّ هنالك حاجةٌ إلى «حوارٍ وتشاورٍ بشأن القضايا المختلفة»، وأنَّ «سوريا ولبنان دولتان مُهمَّتان في محور المقاومة»، ليُؤكِّد حضور إيران المباشر في مختلف تطورات لبنان السياسيَّة[6]، وإبعادها عن محيطها العربي قدر المستطاع.

وقد سبق رد فعل إيران، رد الحكومة اللبنانية على قرار ألمانيا بحظر أنشطة حزب الله وتصنيفه «منظمةً إرهابيَّة»، فوصفت القرار الألماني بأنه «اتُّخذ بلا احترام للحكومة والشعب اللبنانيين وبلا حكمة»، والأهم عدَّت إيران القرار «تهديدًا خارجيًّا لمواقف إيران ومصالحها الوطنية»[7]، الأمر الذي يُشير إلى مدى تدخل إيران في السياستيْن الداخليَّة والخارجيَّة للبنان.

وتعملُ إيران في مجال تعزيز دورها السياسيّ في لبنان عبر احتفاظ حلفائها ولاسيَّما حزب الله بقوته ونفوذه في الحكومة والبرلمان واستمرار قدرتهم على تشكيل الحكومات المتعاقبة من جهة، أو تعطيل عملها من جهةٍ أخرى في حال استوجب الأمر ذلك[8]، والتأثير في سياسة لبنان

الخارجيَّة وتوجيهها في صالح مِلفات إيران الإقليميَّة، عبر دفع الحزب للقيام بمهامٍ إستراتيجية خارج حدود الدولة اللبنانية، تُلبِّي رغبات إيران وتخدم مصالحها الإستراتيجية.

ويُمكن القول: إنَّ أيما استفادةٍ من تزايد تأثير حزب الله داخل لبنان، ولا سيَّما بعدما أصبح طرفًا أصيلًا في صناعة القرار إنْ لم يكُن هو الطرف الأهم، وكذلك تزايد تأثيره خارجيًّا، حيث أصبح دولةً داخل الدولة له سلاحه وتنظيمه الخاص، ويأخذ قرارات الحرب بصرف النظر عن قرار الدولة اللبنانية، وبالتالي صار الحزب أحد أهم أدوات تنفيذ السياسة الإيرانية في لبنان وخارجها[9].

2. التغلغل ودعم الروابط الاقتصاديَّة

بالرغم من تقديم إيران الدعم لحلفائها على الساحة اللبنانية منذ وقتٍ مبكر، فإنَّ تداعيات حرب عام 2006م قد تسبَّبت في خسائر كبيرة للبنان، الأمر الذي أتاح الفرصة للتغلغل الاقتصادي الإيراني في لبنان، حيث قدمت إيران المساعدات للبنان ودعمت علاقتها الاقتصاديَّة معها في مجال التجارة الخارجيَّة والاستثمارات، وتم توقيع عددٍ من الاتفاقيات الاقتصاديَّة والبروتوكولات، وتم تقديم العديد من العروض والتسهيلات التجاريَّة والاقتصاديَّة في المجالات الزراعيَّة والصناعيَّة والبيئيَّة والعسكريَّة[10].

وتستغل إيران أزمة لبنان الراهنة وتحاول الاستفادة منها، إذ أعلنت عن استعدادها اعتماد الليرة اللبنانية في التبادل التجاري بين البلدين وبخاصة المشتقات النِّفطية، ويأتي ذلك ضمن جهود إيران للتخفيف من تداعيات العقوبات الاقتصاديَّة المفروضة عليها، وفي الوقت نفسه حاجة لبنان إلى المساعدات. ليس هذا وحسب بل صار حزب الله في لبنان بمثابة «الوكيل الاقتصادي» لإيران إلى جانب أدواره الأخرى، فكان له دورٌ في إنشاء شركاتٍ وهميَّة (شركات واجهة) وتوجيه رجال أعمال وذلك ضمن شبكاتٍ معقدة تديرها إيران بمساعدة حزب الله من أجل مساعدة إيران على التهرب من العقوبات الأمريكية، وهذه الصفقات بدورها تصب في صالح الاقتصاد الإيراني، كما استطاع حزب الله – كما تُشير تقارير– أنْ يُزوِّد إيران عبر لبنان بمبالغ ضخمة من العملة الأجنبية سُحِبت من الأسواق المالية والبنوك اللبنانية، عبر تُجار وأصحاب شركات صرافة تحمل أسماء لبنانية وعربية[11].

ويؤدي حزب الله دور المسوّق لِـ«الدعم الإيراني» و«البديل الاقتصادي للبنان»، ويتبنى هذا الطرح أمين الحزب ووزرائه في الحكومة ونوابه في البرلمان، ليُروجون لـ«الجهوزية الإيرانية» في كافة المِلفات الاقتصاديَّة، مع تسهيل عمليَّات التبادل التجاري بالدفع بالليرة اللبنانية، مثلما يروّج الحزب لضرورة الانفتاح الاقتصادي على الدعم الإيراني وقبول عروضه، وقد دخلت الأدوية والسِّلع الغذائية الإيرانية الأسواق اللبنانية بغزارة وبخاصة في مناطق نفوذ حزب الله[12].

وقال تقرير معهد «راند» الأمريكي الذي يحمل عنوان: «قرصنة نشر الأشرطة.. الجريمة المنظمة والإرهاب» إنَّ المنظمات الإجرامية التي تعمل في منطقة المثلث الحدودي بين كلٍ من البرازيل–الأرجنتين– باراجواي تقوم بتمويل عمليَّات وأنشطة حزب الله، مؤكدًا بأنَّ تلك

المنطقة تحولت إلى مركزٍ ماليٍّ لتمويل أنشطة حزب الله من خارج منطقة الشرق الأوسط، وأنه يتم تحويل مبالغ ماليَّة ضخمة من هذه المنطقة لحزب الله سنويًا، والتي تُقدَّر بنحو 20 مليون دولار.

وأفاد التقرير أنه بفضل العلاقة الوثيقة بين حزب الله وإيران، فقد نجح الحزب من تدعيم علاقاته وأنشطته في منطقة المثلث الحدودي بدول أمريكا الجنوبية، والتي تُعَد الباب الخلفي للولايات المتحدة الأمريكية. مُشيرًا إلى أنَّ نحو 3,5 مليون دولار من إجمالي المبالغ التي يحصل عليها حزب الله، جاءته من أسد أحمد بركات المعروف بتعاملاته في مجال تجارة المخدرات وشرائط الفيديو المزيفة، وقد حصل على خطاب شكرٍ من الأمين العام للحزب حسن نصر الله يشكره على تبرعه السَّخي لصندوق شهداء لبنان، الذي يُموِّل أنشطة حزب الله التشيعيَّة في جنوب لبنان[13].

3. التوظيف الأمني والعسكري

برز اهتمام إيران بالجانب الأمني والعسكري في لبنان بعد عام 1979م، حيث بدأ النظر إلى لبنان كساحةٍ متقدمة في مشروع ولاية الفقيه وفي الدفاع عن الثورة والنظام الجديد، وفي الثمانينيات وتحديدًا في عام 1982م أقام الحرس الثوري الإيراني في البقاع أولى قواعده العسكريَّة خارج الحدود، وذلك بعد الاجتياح الإسرائيلي للبنان، ثُمَّ قام بتأسيس حزب الله وتكفَّل بتدريب عناصره وتسليحهم وإعدادهم وإنشاء جهازٍ تنظيميٍّ أمنيٍّ عسكريٍّ ثُم أُعلِن عنه بشكلٍ رسمي بوصفه قوةً عسكريَّة فاعلة على الأرض في فبراير 1985م، ونجح الحزب بأن يكون جناحًا عسكريًّا تابعًا لإيران[14].

بدت مظاهر الدعم الإيراني للحزب في حرب عام 2006م، حيث قدمت إيران للحزب دعما ماديًّا وعسكريًّا، إذ زودته بما يقرب من 1200 إلى 1300 صاروخ من طرازات مختلفة ومتنوعة، وهنالك يرى بأنَّ هذه الحرب كانت بدافعٍ إيراني لإبعاد الأنظار الدوليَّة عن برنامجها النووي[15]، كما دفعت إيران بحزب الله إلى التدخل لإنقاذ النظام السوري بعد اندلاع الثورة في 2011م، وقد كانت واحدة من ضمن أهداف إيران في الحفاظ على نظام بشار الأسد هو رغبتها في بقاء خطوط الاتصال البرية مع حزب الله عبر العراق وسوريا، وذلك من أجل الحفاظ على تدفق السلاح والمساعدات إلى الحزب وتنفيذ أجندة إيران بوجود ممرٍ بريٍّ يصلها بلبنان.

إذ ترى إيران أنَّ حزب الله جزءٌ من الحرس الثوري ويُمثِّل رأس الحربة في صراعها مع إسرائيل والمحافظة عليه، وهو يهدفُ إلى المحافظة على إيران كدولة، حتى إنَّ الفريق يحيى رحيم صفوي عندما كان مستشارًا عسكريًّا للمرشد الأعلى عام 2014م قال إنَّ «حدود بلاده الحقيقية تنتهي عند شواطئ البحر الأبيض المتوسط في الجنوب اللبناني»[16]، الأمر الذي يُشير إلى أنَّ إيران نجحت بما تُقدِّمه من دعم لحزب الله بتحويلها إلى قوةٍ عسكريةٍ ذات قدراتٍ قتاليَّة عالية وتأثيرٍ في الساحة اللبنانية ويمنح إيران دورًا أمنيًّا مؤثرًا فيها أيضًا مثلما يوفر حزب الله فرصةً

كبيرة من وجهة النظر الإيرانية لإحداث تأثيرٍ وتدهورٍ أمنيٍّ إقليميٍّ من دون تدخل عسكريٍّ إيراني مباشـر[17]، وترى إيران لبنان بمثابة موقع متقدم للحرس الثوري ومنصّة لانطلاق إيران في دورها الأمني في الساحتين الإقليميَّة والدوليَّة ومن دون اعتبار لما قد تتعرضُ له لبنان نتيجةَ العنف الإيراني ضد إسرائيل[18].

4. الجذب الثقافي والمذهبي

تهتـمُ إيران بلبنـان بوصفها أحد بلدان المنطقة العربية التي يوجد أكبر الأقليات الشـيعية في المنطقـة، ومِـن ثَـمَّ فإنّهـا بيئـةٌ مواتيـة للتروي ـج للنمـوذج الإيراني ولمبـادئ ولايـة الفقيـه؛ ولهـذا حرصـت إيران علـى تعزيز دورها فـي المجالين الثقافي والتعليمي في لبنان، عبر مسـاراتٍ عِدَّة، منها: المشـاركة في المناسـبات المشـتركة مع شـيعة لبنان وبرعاية المستشـارية الثقافيَّة الإيرانية في بيروت مثل: «يوم القدس العالمي»، والمناسـبات الشـيعية الأخرى، كما أنشـأت إيران العديد من المراكز والمؤسَّسـات الثقافيَّة في لبنان مثل: «جمعية مراكز الإمام الخميني الثقافيَّة» التي لها 15 فرعًا في لبنان. وفي المجال التعليمي أسَّسـت إيران العديد من المؤسَّسـات التعليميـة مثـل: «جامعـة آزاد الإسـلامية» و«معهـد الرسـول الأكـرم» و«مؤسَّسـة السـيدة الزهراء» و«المدرسة الإيرانية للبنـات» و«المدرسـة الإيرانية للبنين» و«المؤسَّسـة الإسلامية للتربية والتعليم» وعددًا آخر من المراكـز الثقافيَّة والبحثيَّة التي يُشـرف عليها حزب الله[19]، فضلًا عن قناة «المنار» التابعة للحزب.

ويستهدفُ النشاط الثقافي والتعليمي لإيران جميع المكونات المجتمعيَّة اللبنانية ولا يقتصرُ على الشـيعة فقط، من أجل نشـر ثقافته والترويج لنموذجه، فيوفر المركـز الثقافي الإيراني عددًا من المكتبات العامة بعَدَّة لغات ويقوم بإصدار مجلاتٍ أدبية ويُعِدُّ دوراتٍ لتعليم اللغة الفارسية، وكذلك أُفتُتِح قسم اللغة الفارسية في الجامعة اللبنانية عام 2012م، مثلما يشملُ النشاط التعليمي الإيراني في لبنان تقديمَ المنح التعليميَّة للدراسة في الجامعات الإيرانية[20].

وتتضحُ سمات النشاط الإعلامي التابع للحزب، عبر الترويج غير المباشر للخطاب الإيراني في الداخل الإيراني، ويتضحُ ذلك من خلال تبرير قناة «المنار» الفضائية، التدخلات الإيرانية فـي لبنان والمنطقة، هذا فضلًا عن الجيوش الإلكترونية التي يمتلكها الحزب، والتي تُقدَّر بعشرات الصفحات الناطقة باسـم الحزب، والتي تُشكِّل بدورها منصاتٍ إعلاميَّة تخدمُ إيران وإستراتيجيتها في لبنان وخارجه.

ثانيًا: أثر تنامي النفوذ الإيراني على الساحة اللبنانية

انعكس التدخل الإيراني في لبنان بشـكلٍ سـلبيٍّ على الوضع اللبناني داخليًّا وخارجيًّا، وقد برزت أهم تداعيات هذا الحضور الإيراني على عِدَّة مستويات:

1. الانسداد السياسي وتفاقم الانقسامات الداخليَّة

أربك التدخل الإيراني بالشأن اللبناني الحياة السياسيَّة وكان مصدرًا لأزماتٍ عِدَّة، تجلت في: شيوع عدم الاستقرار السياسي، حيث أدى الدور الإيراني في لبنان إلى حالةٍ من عدم الاستقرار السياسي تَمَثَّل بتعطيل عمل الرئاسات الثلاث من خلال نفوذ وتأثير حزب الله في المؤسَّسات السياسيَّة اللبنانية، إذ عطلت إيران الانتخابات الرئاسيَّة بفعل توجيه إيران لحزب الله بامتناع مُمَثِّليه عن المشاركة في جلسات مجلس النواب وتحديدًا التي تتعلق بالانتخابات الرئاسية حتى تتمكن من إيصال من ترغبُ بوصوله إلى هذا المنصب[21]. فكانت النتيجة أنْ عطلت الانتخابات لدورتين انتخابيّتيْن ولم تجرِ انتخاباتٌ في لبنان منذ عام 2009م، مثلما ظل منصب رئيس الجمهورية شاغرًا لعامين ونصف منذ انتهاء ولاية الرئيس السابق ميشال سليمان في مايو 2014م، وتمَّ التعطيل حتى رجحت كفة حزب الله وحلفائه ليتمّ انتخاب ميشال عون حليفَ حزب الله رئيسًا للجمهورية، واستبعاد سمير فرنجيه حليف تيار المستقبل من المنصب؛ ما شكل علامةً بارزة على تمدد إيران في لبنان[22] وعمق الانقسام السياسي فيه، بالشكل الذي أدى إلى بروز تحالفاتٍ سياسية – طائفية عمَّقت الخلافات السياسيَّة حول القضايا الداخليَّة والخارجيَّة، ولا سيَّما بين تحالفي 8 و14 آذار؛ الأمر الذي أنتج بدوره انقساما عميقًا ألقى بظلاله على حالة الاستقرار السياسي في لبنان، وهو ما جعل لبنان يعاني من عدم وجود حكوماتٍ قوية ومستمرة، وهي أزمةٌ ما زالت مستمرة حتى اليوم، والتي وجدت صداها في استقالة حكومة حسان دياب الأخيرة.

كذلك استطاعت إيران في لبنان تسييس المكون الشيعي وإبراز الطائفية عن طريق دعم الحركات والقوى والمؤسَّسات ذات البعد الطائفي؛ الأمر الذي انعكس على الوضع اللبناني وكان سببًا برد فعلٍ طائفيٍّ لدى باقي مكونات المجتمع اللبناني، وسببًا بتأجيج الاحتراب بين مكونات المجتمع وإنهاك قوة الدولة لصالح فصيل طائفيٍّ معين يسعى لإحكام سيطرته السياسيَّة والاقتصاديَّة والأمنيَّة في البلاد وتنفيذ أجندة الدولة الداعمة له، وهو ما حصل بسيطرة حزب الله على مفاصل الدولة اللبنانية تنفيذًا لأجندات إيران[23].

إلى جوار ذلك عملت إيران على ربط ولاء حلفائها واتباعهم في لبنان بأيديولوجيتها المذهبيَّة عبر تفعيل البعد الأيديولوجي الذي مضمونه أولوية الولاء للمركز أيْ مركز السلطة في إيران، وهو أمرٌ يُفسر أنَّ ولاية الفقيه لم تركز على موضوع بناء الدولة في بنيته الإداريَّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة في لبنان ولم تروج لمفهوم التنمية أو تعزيز الهُويَّة الوطنية اللبنانية، بقدر ما تمَّ التركيز على دعم فواعل معيّنين داخل لبنان يرتبط ولاؤهم بإيران على حساب ولائهم للبنان، وإبقاء الدولة أو مشروعها غير مكتملٍ أو مُعلقًا إلى حدٍّ ما فهذا الوضع كفيلٌ بالسماح لإيران أن تعزز نفوذها وتبقى البلاد تحت سيطرة حلفائها[24]. بل حتى الهُويَّة الوطنية اللبنانية أصبحت مُهدَّدة في ظل مساعي تعزيز الهُويَّة الطائفية على حساب الهُويَّة الوطنية الجامعة وإضفاء الطابع الإيراني على المعالم اللبنانية مثل: تسمية طريقٍ بالقرب من مطار بيروت باسم الخميني أو نصب تمثالٍ لقاسم سليماني في منطقة مارون الراس جنوب البلاد وصورٍ لرموزٍ إيرانية

في العديد من الشوارع والبلدات وغيرها[25]، وبالمثل اتجهت كافة الطوائف اللبنانية للبحث عن حلفاء في الخارج لتقوية مركزها ودعم بقائها، وأصبح لبنان بأسره رهينًا لإملاءات القوى الخارجيَّة وتوازناتها ومصالحها بصرف النظر عن مصالح الدولة الوطنيَّة اللبنانية.

وقد أسهمت الجهود الإيرانية في تقليص النفوذ العربي، ولا سيَّما بعد سيطرة حزب الله على توجهات الحكومة اللبنانية الخارجيَّة وانسياقها خلف مواقفَ لصالح إيران على حساب المصالح والقضايا العربية ولاسيَّما مواقف داخل جامعة الدول العربية، فيما يتعلق بالقرارات التي تمسُّ إيران وحلفائها في المنطقة، إذ امتنعت لبنان عن التصويت على عِدَّة قرارات تُدين تصرفات إيران الاستفزازية ضد الدول العربية الأمر الذي انعكس سلبًا على العلاقات اللبنانية العربية ولاسيَّما الخليجية التي تُمثِّل مصدر الدعم والمساندة للبنان لسنوات طويلة[26].

ولم تنعزل لبنان عن محيطها العربي بفضل تدخلات إيران بل دخلت كذلك في عزلةٍ دوليَّة، فمنذ ما يقرب من خمس سنوات بالتزامن مع تغيراتٍ عديدة في الساحتين العربية والأمريكية وتبني سياسة الضغط على إيران بالتزامن مع تغول الدور الإيراني الإقليمي، دخلت لبنان منذ عام 2015م بعزلةٍ سياسيَّة واقتصاديَّة فاقمها تدخل حزب الله في القضايا الإقليميَّة مثل: سوريا واليمن، وهجومه المستمر على السعودية والإمارات، وصارت لبنان عرضةً للعقوبات الدوليَّة؛ بسبب ذلك التدخل والانسياق لسياسات إيران المرفوضة عربيًّا ودوليًّا[27]. ناهيك عن احتمالية خسارة لبنان لعلاقاتها مع العديد من الدول التي بدأت باتخاذ قراراتٍ بتصنيف حزب الله بوصفه منظمةً إرهابيَّة مثل: هولندا وبريطانيا وليس آخرها ألمانيا التي اِتَّخذت مثل هذا القرار في مايو 2020م[28].

أدت الحروب والصراعات المستمرة التي خاضها حزب الله نيابةً عن إيران، إلى توريط الدولة اللبنانية في أزمات مستمرة، وآخرها الأزمة الاقتصاديَّة التي يعيشها، إلى جانب البنية التحتية المدمرة، فضلًا عن ذلك يعاني لبنان اليوم من تداعيات قانون قيصر الذي يستهدفُ النظام السوري، إذ إنه بموجب هذا القانون سيتعرض كل طرفٍ خارجيٍّ يتعامل مع النظام السوري لعقوبات مُشددة من الإدارة الأمريكية، ومن المعلوم جيدًا أنَّ لحزب الله علاقاتٍ اقتصاديَّة وثيقةً مع النظام السوري، تتمُّ إدارتها عبر قنوات رسمية من داخل الدولة اللبنانية، عبر وزراء ونواب الحزب، الأمر الذي يجعل الدولة اللبنانية عرضةً لعقوبات أمريكية في حال ما إذا توصلت الولايات المتحدة لقناعة واضحة في هذا المجال.

2. إضعاف الأداء الاقتصادي

أما على المستوى الاقتصادي فكان لإيران دورٌ في دفع الاقتصاد اللبناني نحو الركود والانكماش؛ بسبب زج لبنان في الصراعات الإقليميَّة مثل الصراع السوري، وسيطرة حزب الله على العديد من الوزارات الخدمية والمؤسَّسات الاقتصاديَّة والماليَّة وتسخيرها لصالحه، والمشكلات التي سببتها إيران وحزب الله للبنان مع الدول الخليجية، كل ذلك أدى إلى أضرارٍ فادحة للاقتصاد اللبناني، مثل: تعطيل القطاع السياحي، وأضرار انقطاع طرق الشحن والمواصلات عبر الأراضي السورية وإنهاك القطاع المصرفي، فكانت النتيجة تراجع النمو الاقتصادي ابتداءً من العام

2012م وازداد تراجعًا فيما بعد [29]. وصارت لبنان ضمن قائمة أكثر دول العالم مديونية بنحو 86 مليار دولار حتى عام 2019م، ويعيش قرابة 28% من اللبنانيين تحت خط الفقر وتجاوزت نسبة البطالة 36%[30].

كما تراجع الاستثمار الخارجي، حيث يصعب على المستثمرين من أفراد وشركات ودول ولاسيَّما الدول الخليجية والعربية، الاستثمار في لبنان وفي عملية تخصيص أو تسييل مرافق الدولة والمؤسَّسات الماليَّة في ظل وجود سيطرة حزب الله على الحكومة اللبنانية، وخاصة في ظل العقوبات الدوليَّة وتهمة الإرهاب وحظر نشاطاته من قِبَل العديد من الدول الغربية، ولاسيَّما أنَّ هؤلاء المستثمرين على الأغلب هم من أبناء الدول التي يناصبها حزب الله العداء[31].

وامتدت هيمنة حزب الله إلى المجال الاقتصادي إذ يمتلك حزب الله في لبنان كيانًا موازيًا لكيان الدولة اللبنانية وبالتالي اقتصادًا موازيًا أو رديفًا لاقتصادها وما لذلك من انعكاسات سلبية وأثر مباشرٍ في تفاقم الأزمة الاقتصاديَّة الراهنة. وتقول وزيرة الدولة لشؤون التنمية الإدارية مي شدياق إنَّ «الأزمة الأساسية للاقتصاد اللبناني هو الاقتصاد الرديف لحزب الله والتهريب الذي يقوم به»، وأنَّ «حزب الله يستطيع أن يدخل مواد عبر القنوات غير الرسميَّة وحتّى المرفأ بدون أنْ يدفع رسومًا على أساس ما يُدخله هو تحت إطار المقاومة فيتم إدخال كل المواد التجاريَّة دون أنْ يدفع الضرائب»[32]. كما يستغلُّ حزب الله الأزمة من أجل زيادة استيراد السلاح والمنتجات الإيرانية التي تدخل معفاة من الضرائب ورخيصة الثمن ويتم الترويج لها من قِبَل الحزب وأتباعه. وبغية تفادي العقوبات الدوليَّة بسبب التعامل التجاري مع إيران، ومِن أجل استمرار تدفق البضائع الإيرانية فقد تولى الحزب زيادة عمليَّات التهريب لهذه البضائع[33]، وبالتالي تكون خارج قوانين وضوابط الاستيراد وبعيدةً عن دفع الرسوم الجمركية التي يُمكن أن تساعدَ في تخفيف الأزمة الاقتصاديَّة عن البلاد.

وقد كان لطبيعة دور الحزب على الساحة اللبنانية وعلاقته بإيران، وما يمر به الطرفان من ضغوط وعقوباتٍ، كان لها دورٌ في استنزاف العملة الأجنبية، حيث يقوم حزب الله بتهريب العملة الأجنبية ولاسيَّما الدولار الأمريكي من السوق اللبنانية إلى دول الجوار ومنها إلى إيران، حيث سحب رجال أعمال مقربين من حزب الله أموالهم من المصارف اللبنانية وتمَّ إيداعها في مصارف عراقية تعمل لصالح إيران، قُدِّرت هذه الودائع بما يقرب من مليار دولار، فضلًا عن عشرات عمليَّات تهريب العملة الأجنبية من لبنان لمصالح إيران، وهو الأمر الذي تسبب في أزمة شحّ الدولار في السوق المحلية[34].

حدّت إدارة الاقتصاد على هذا المنوال من المساعدات الاقتصاديَّة الدوليَّة، إذ على الرغم من التدهور الاقتصادي بيْد أنَّ لبنان لم يحصل على الدعم الإقليمي والدولي ولا حتَّى على مساعدات صندوق النقد الدولي التي طلبتها الحكومة اللبنانية؛ وذلك لأنَّ هذه المساعدات قد قُيِّدت بسبب هيمنة حزب الله على أغلب مفاصل الدولة[35].

وقد كانت خسائر لبنان الاقتصاديَّة نتيجة تفجيرات مرفأ بيروت وقانون قيصر بالغة الأثر، فبحسب إعلان البنك الدولي حول انفجار مرفأ بيروت في 04 أغسطس 2020م، فإنَّ خسائره

المادية تراوحت بين 3,8 مليار دولار و4,6 مليار دولار، فضلًا عن الأضرار التي أصابت البنية التحتية والمنازل والمستشفيات والمدارس والشوارع، وما سبَّبهُ الانفجار من إغلاق العديد من الشركات؛ الأمر الذي أسهم بخسارة نشاطٍ اقتصاديٍّ يتراوح بين 2,9 مليار دولار، و3,5 مليار دولار، بحسب تقديرات البنك[36]، هذا الانفجار الذي نتج عن تخزين نترات الأمونيوم التي قُدِّرت بـ 2750 كجم، والتي تُشير أصابع الاتهام أنَّ مُلكيتها تعود إلى حزب الله اللبناني.

كما أقرَّت الإدارة الأمريكية عقوباتٍ على النظام السوري حملت اسم قانون قيصر، ووَفقًا لهذا القانون فإنَّ المُلاحقات والعُقوبات تطال النظام وكل الجهات التي تتعامل معه من أفرادٍ وشركاتٍ ومجموعاتٍ ودول، الأمر الذي يعني أنَّ التداعيات تشمل كل الجهات التي تدعم النظام وتتعامل معه عسكريًّا واقتصاديًّا، ويجعل هذا بدوره لبنان في فوهة مدفع العقوبات كونها الأقرب والأكثر تعاطيًا مع النظام السوري من جهة، ولتدخُّل حزب الله اللبناني في أتون الصراع السوري من جهةٍ أخرى، إذ ستطال العقوبات أيَّ شركة لبنانية تدخل لمجال الاستثمار في سوريا، ولاسيَّما أنَّ حزب الله أحدُ الأهداف الأساسية للعقوبات ولن يكون قادرًا على تأمين عمل شركاتٍ وهيئاتٍ مقربة منه في سوريا، من دون التسبُّب بصدور حزمة عقوبات على هذه الشركات ومالكيها، بمعنى أنَّ مشاركة لبنان في تحدي القرارات الأمريكية، ستكون سببًا بتكبيد الاقتصاد اللبناني خسائر مادية كبيرة تفوق ما قد يُحقِّقه من أرباح[37].

وبينما تأثرت قطاعات متعددة من هذا التدخل الإيراني في الشأن اللبناني، فإنَّ قطاع الأدوية خضع لتأثيرات مضاعفة بتعرضه لعمليَّات تهريب ولاسيَّما المستوردة عبر المعابر غير الشرعيَّة واستبدالها بأدوية إيرانية، يعمل على إدخالها حزب الله إلى السوق اللبنانية، وحذَّر رئيس لجنة الصحة النيابية عاصم عراجي من احتماليَّة إغراق السوق اللبنانية بالأدوية الإيرانية بقوله: «الحدود مفتوحة ومِن الممكن أن يدخُل الدواء الإيراني إلى البلاد بشكلٍ غير قانوني»، وأوضح أمين سر تكتل «الجمهورية القوية» فادي كرم بخصوص الأدوية الإيرانية التي تصل لبنان بقوله: إنَّ «إيران تعمل على استخدام اقتصاد لبنان لمصلحتها لأنَّ هنالك أرباحًا تُجنى من عمليَّات تهريب الأدوية تصل إلى 150 مليون دولارٍ سنويًّا»[38].

3. تفاقم التهديدات الخارجيَّة والتحديَّات الأمنيَّة

بطبيعة تدخلاتها امتدت آثار التدخلات الإيرانية إلى النيل من أمن واستقرار لبنان، إذ بالرغم من أنَّ حزب الله يشارك في الحياة السياسيَّة ولكن بقيَ سلاحُه خارج سيطرة الدولة ويُشكِّل أحد الأزمات التي تُخِلُّ بالأمن الوطني اللبناني وتقلق المجتمع والدولة، وهذا السلاح صار له وجهة أخرى غير إسرائيل، هذه الوجهة هي الداخل اللبناني وظهر جليًّا في أحداث 07 مايو 2008م، التي حصلت في بيروت وعدد من مناطق جبل لبنان بين ما يُسمى بالمعارضة والموالين، والتي حسم فيها حزب الله سيطرته على بيروت بقوة السلاح[39]، وقد دعا السكرتير العام للأمم المتحدة أنطونيو جوتيريش إلى نزع سلاح الحزب وإنهاء قدراته العسكريَّة بوصفها محفزًا للتوتر في لبنان وطالب الحكومة اللبنانية باتِّخاذ موقف تُجاه انفلات سلاح حزب الله ومخاطر تدخله في سوريا[40]. وبالرغم من الرفض اللبناني والإقليمي والدولي لسلاح حزب الله تستمرُ إيران بتقوية

الحزب وتسليحه لممارسة ما تريده من مهمات وأدوار داخليَّة وخارجيَّة خدمةً لمصلحتها.

أضعفت سياسة حزب الله، الجيش الوطني اللبناني، فإيران تعمل وَفقًا لمشروعها الإقليمي ودورها التدخلي في لبنان على أن تكون قوات حزب الله هي البديل عن الجيش اللبناني وليس في بال إيران وحزب الله إعطاء القيادة للجيش اللبناني وحصر السلاح بيده[41]. وهو أمرٌ يقوض أيّ خطوات لبناء مؤسَّسات الدولة الأمنيَّة في لبنان ويُعيق وظيفتها في حفظ الأمن والاستقرار في البلاد.

وبينما تنظر طهران إلى لبنان كورقة ضغطٍ في مواجهة إسرائيل والقوى الإقليميَّة ومحور ارتكاز لخدمة نفوذ إيران في منطقة المشرق العربي فقد تحول لبنان لمستودع أسلحة، حيث يقوم حزب الله بتخزين الأسلحة والترسانات العسكريَّة والصواريخ في المناطق المأهولة بالسكان. وتُشير تقارير عِدَّة إلى أنَّ هنالك 28 موقعًا على الأقل كمستودعات لتخزين وإطلاق صواريخ الحزب تقع في بيروت ومناطق سكنية وأماكن فيها منشآتٍ حيوية[42]، وهو أمرٌ يُشكِّل خطورةً كبيرةً على السكان في حال استهدافها أو تعرضها لمخاطر التفجير ولاسيَّما بعد انفجار مرفأ بيروت الذي دق ناقوس الخطر على مخازن الأسلحة والصواريخ التي قد يُسبب انفجارها أو استهدافها خسائرَ هائلة بالأرواح والممتلكات.

وقد كشف السفير ناثان سيلس منسق قسم مكافحة الإرهاب في وزارة الخارجيَّة الأمريكية عن معلومات حسَّاسة توصَّلت إليها الولايات المتحدة، بوجود مخابئ لحزب الله من نترات الأمونيوم في عددٍ من الدول الأوروبية منها: بلجيكا وإسبانيا وإيطاليا وفرنسا، وتعاملاتٍ ماليَّة مشبوهة للحزب في عدد من الدول الأوروبية[43].

وقد أدت الإستراتيجية الإيرانية إلى تعريض أمن لبنان للتهديدات الخارجيَّة، وظهر ذلك مع مشاركة حزب الله في الصراع السوري بشكلٍ فاعلٍ لدعم نظام بشار الأسد حتى أصبح أحدُ ركائز هذا الصراع وأهم أطرافه، وكان ثمن هذه المشاركة كبيرٌ جدًّا على لبنان، من النواحي الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة، إلى جانب الانعكاسات الأمنيَّة الكبيرة[44]. والتي كان أبرزها تعريض الأمن اللبناني لانتهاكاتٍ إسرائيلية مستمرة، وجعل الجغرافيا الأمنيَّة للبنان مكشوفة لإسرائيل.

حتى المجتمع اللبناني لم يسلم من تداعيات تدخُّلات إيران ودورها في لبنان، حيث انعكس تدهور الأوضاع على حياة الناس ومعيشتهم، وكشفت أزمةُ النفايات عن تداخلات السياسة والاقتصاد وتأثيرها على المجتمع، كذلك كشفت أزمة جائحة كورونا العالميَّة عن تأثيرات تلك العلاقة، حيث كان تسجيل أول إصابة في لبنان في 20 فبراير 2020م هي لسيدةٍ قادمة برحلة طيرانٍ من مدينة قم الإيرانية إلى لبنان ثُم ثبت إصابة آخرين قادمين بنفس الرحلة في ما بعد، فأوجدت هذه الحادثة دعواتٍ لوقف الرحلات بين لبنان وإيران لإيقاف انتقال الفيروس[45]، وعلى الرغم من أنَّ الحكومة اللبنانية قد أوقفت الرحلات بين الدولتين في نهاية فبراير 2020م، بيْد أنَّ الاتصال غير الرسمي مع إيران ولاسيَّما مع أعضاء حزب الله بقيَ مستمرًا، إذ إنَّ الحكومة لا يمكنها أن تمنع التواصل واستمرار الزيارات بين الدولتين[46]. فضلًا عن أنَّ حزب الله يدير الأزمة الصحية بالتوازي مع الدولة اللبنانية بنظامه الموازي للرعاية الصحية وأنَّ مستشفى الرسول

الأعظم الذي يملكهُ حزب الله غير مسـجلٍ ضمن خطة الطوارئ ولهذا فقد كان يتكتمُ على أرقام الإصابات في لبنان وعدم الكشف عما إذا ظهرت إصاباتٌ قادمةٌ من إيران[47].

ثالثًا: فرص وتحديَّات الحضور الإيراني في لبنان

يُمكن أنْ تُوفِّر لبنان فرصًا تستغلها إيران لتعزيز دورها في لبنان مثلما يمكن أن تتعرضَّ لتحديَّات تُعيق هذا الدور أو تُحجمه مستقبلًا، فمِن جهة احتمالات استمرار أو تزايد نفوذ إيران في لبنان، توجد عددٌ من المقومات التي تدعم هذا الاتجاه، لعل أهمها: الطبيعة الطائفيَّة للبنان التي تُوفر بيئةً مناسبة لتدخلات إيران في لبنان ولاستمرارية دورها، وقد استطاعت إيران التغلغل في لبنان بالارتكاز على المشترك الأيديولوجي، وهذا المشترك جعل الرأي السائد في جنوب لبنان والبقاع وجنوب بيروت يتأثر بالتوجهات الإيرانية ويؤيدها، وأصبح الأمر مركزيًّا في التفكير الجماعي بمكانة الطائفة في سياق الصراع الطائفي في المنطقة[48]. فتميز دور إيران عن غيره من الأدوار الإقليميَّة والدوليَّة بوجود مكونٍ مجتمعيٍّ متماسك في لبنان يرتبط به عضويًّا ويقوي دوره في مقابل الدول الأخرى. ولا شكّ تستغل إيران الوضع اللبناني المتأزم لتطرح نفسها كظهير للمكون الشيعي في لبنان وفي ظل عدم وجود أيّ دولة أخرى تقدم نفسها بوصفها دولةً شيعيَّة حامية لهم، فضلًا عن دورها كمرجعية دينيَّة (قم) وسياسيَّة (الولي الفقيه)[49]. ولا تزال الطائفية قيدًا حقيقيًّا أمام إنقاذ لبنان من تأثير التدخلات الخارجيَّة ولا سيَّما تدخلات إيران، فضلًا عن أنَّ هذه الطائفية أصبحت قيدًا على فاعلية النظام السياسي الذي أصبح مأزومًا؛ بسبب ديمقراطيته الطائفية التي تحول دون وجود دولةٍ وطنيَّةٍ حقيقيَّة تسود فيها قيَم المواطنة والتعايش الأهلي بعيدًا عن الاستقطاب والتبعيَّة والارتباط بأجندة الخارج.

بجانب الطائفيَّة تُوفِّر مكانة حزب الله وقدراته فرصةً لاستمرار دور إيران في لبنان، فهذا الحزب يدين بالولاء للولي الفقيه فالقائد هو الولي الفقيه وهو زعيم الحزب، وأتباع الحزب يأتمرون بأوامر الفقيه وقادة الحزب مُعيَّنون من قِبَله، وهذا الارتباط الديني والعقائدي والسياسي بالمرجعية السياسيَّة الإيرانية (ولاية الفقيه) جعلت من الحزب بمثابة «حالة إيرانية» أو جزءٍ من الإستراتيجية الإيرانية في مضمار الصراع في لبنان والمنطقة[50]. وهذا الارتباط يمنح الدور الإيراني نقاط قوة، ولا سيَّما في ظل إمكانيات الحزب واتساع نطاق دوره داخليًّا وخارجيًّا، الأمر الذي يُسهم بترسيخه واستمراره وتميزه أمام تأثير الدول الأخرى في لبنان.

ليس هذا وحسب، بل أصبح لدى إيران تحالفاتٍ أخرى في لبنان، ومِن ثَمَّ لم تعُد قوة إيران ودورها بلبنان يستند فقط إلى علاقتها بحزب الله ومدى تأثيره في المشهد اللبناني السياسي والاقتصادي، بل كذلك على تحالفاتها مع عدد من القوى والأحزاب اللبنانية الأخرى[51]، في ظل عدم وجود قوى لبنانية منافسة مكافئة بالقوة ولها علاقة بالدول المنافسة لإيران.

وتستفيدُ إيران من جهةٍ مقابلة من الأزمة الاقتصاديَّة وغياب الدعم الخارجي للبنان، حيث تستغل الضغوطات الدوليَّة والعقوبات الاقتصاديَّة التي تطالُ لبنان؛ بسبب ارتباطها بها وحاجة بيروت الاقتصاديَّة لتقدم العروض التجاريَّة والدعم الاقتصادي للحكومة اللبنانية، وفي ظل مواقف القوى الإقليميَّة والدوليَّة الرافضة لتقديم بدائل اقتصاديَّة للبنان، فإنَّ إيران ستظل

البديل المتاح[52]، الأمر الذي يمنح الدور الإيراني في لبنان نقاط قوةٍ إضافيَّة بالمقارنة مع الدول الأخرى الخليجيَّة والغربيَّة.

أما لجهة التحديَّات التي قد تدفعُ نحو تحجيم نفوذ إيران في لبنان فتبرُز عِدَّة تحديَّات، أهمها: تنامي الغضب الشعبي بين الشيعة اللبنانيين ضد إيران، حيث شكلت الاحتجاجات الشعبية التي اندلعت في 17 أكتوبر 2019م عاملَ ضغطٍ وتحديًّا لدور إيران ووكلائها في لبنان على أكثر من صعيد؛ كونها شملت مناطق نفوذ حزب الله وبشكلٍ لم يسبق له مثيلٌ حتَّى وإن تواضعت أعداد المحتجين في بعض هذه المناطق، ومنها مدينة صيدا والعرقوب والنبطية وكفرمان وصور[53]. ويكمُن التحدي لإيران بارتفاع أصواتٍ من المكون الشيعي مطالبةً برحيل الطبقة السياسيَّة التي يُهيمن عليها حزب الله صاحب التأثير الأكبر في الحياة السياسيَّة اللبنانية[54].

وبجانب هذا الرفض الداخلي لدور إيران وحلفائها تُسهم كثافة الضغوط الأمريكية على إيران وحزب الله في التأثير على مستقبل هذا النفوذ، إذ أدَّت العقوبات الأمريكية على إيران وحزب الله إلى وقوعهم بأزمةٍ ماليَّة خانقة، شكلت تحديًّا كبيرًا لأهداف إيران وأجنداتها في لبنان وانعكست على دور الحزب وأتباعه ومؤسَّساته؛ لأنَّ الحزب ربط أتباعه خلال العقود الماضية بمؤسَّساته الممولة من إيران التي لم تَعُد قادرة على الاستمرار في تقديم هذا الدعم[55]. وتؤدي الضغوطات والعقوبات الدوليَّة على إيران وحلفائها في المنطقة ولبنان إلى قطع قنوات التمويل وإيقاف منافذ الدعم والتسليح ومعاقبة الأفراد والمؤسَّسات التي تعتمدُ عليها إيران وحزب الله في تمويل احتياجاتهم ومتطلباتهم، وقد طالت العقوبات الأمريكية العديد من الأفراد والقيادات والشركات والكيانات التابعة لحزب الله في لبنان ومنهم نوابه في البرلمان اللبناني[56]. وقد لا يكون آخرها قانون قيصر لحماية المدنيّين في سوريا الذي يهدفُ إلى معاقبة النظام السوري والأطراف المتعاونة معه وأهمها حزب الله[57]، ناهيك عن إجراءاتٍ دوليَّة أخرى قامت بها كلٌّ من ألمانيا وهولندا وكوسوفو والأرجنتين وكولومبيا وهندوراس وغواتيمالا ومجلس التعاون الخليجي وجامعة الدول العربية، تمثَّلت بتصنيف حزب الله كمنظمة إرهابيَّة[58]، وما يترتبُ على ذلك من إجراءاتٍ تنعكسُ سلبًا على نشاطات حزب الله داخل وخارج لبنان وبالتالي انعكاسها السلبي أيضًا على دور إيران في لبنان.

إنَّ إيران نفسها تمرُ بأزمةٍ اقتصادية غير مسبوقة وهذا يضع قيدًا أمام دورها في مساعدة حلفائها أو الوفاء بوعودها لحكومات الدول الأخرى، حيث لم يعُد ممكنًا ما تحاول إيران إظهاره بأنّها الداعم للبنان؛ كونها تعاني من أزماتٍ داخليَّة سياسيَّة واقتصاديَّة وصحيَّة وأزمة عزلةٍ دوليَّة، فإذا كانت لا تستطيع معالجة أزماتها فكيف ستعالج أزمة لبنان. كما لا يُمكن واقعيًّا للحكومة اللبنانية قبول التعاون الاقتصادي مع إيران لما يُعرضها لعقوبات وعزلة دوليَّة[59]، وهي ليست بوضع يسمحُ لها بتحملها. ويُشكِّل قانون قيصر فرصةً وتحديًّا للبنان في ذات الوقت، فإذا ما نجح الحراك الشعبي في لبنان، في المجيء بحكومةٍ بعيدة عن تأثير حزب الله، فيُمكن القول: إنَّها قد تُشكِّل فرصةً للضغط على حزب الله، عبر إعادة النظر في جميع الاتفاقات الاقتصاديَّة التي عقدتها الحكومة اللبنانية السابقة مع النظام السوري، بدعمٍ وتأثيرٍ من حزب الله، والتي أضرت بالاقتصاد اللبناني، والعكس صحيح أيضًا.

ويقابل الرفض الشعبي في لبنان لدور إيران، رفضٌ شعبيٌّ إيراني كذلك لمثل هذا الدور، إذ إنَّ كلفة الدور الإيراني في لبنان والمنطقة وتزايد ظهور الحرس الثوري الإيراني كمُمَثِّلٍ إقليميٍّ لسياسة إيران قد ساهمت بالإحباط الذي تشعر به شرائحُ واسعة من الشعب الإيراني بسبب عدم قدرة النظام السياسي على الإنجاز الاقتصادي[60]، وصار يتزايد على شكل حراكٍ شعبيٍّ ناقم على النظام الإيراني ودوره الإقليمي المكلف.

وبذلك يتضح أنَّ الدور الإيراني في لبنان يتعرضُ لتحدياتٍ تفوق ما يتمتَّعُ به من فرص؛ الأمر الذي يشير إلى احتماليَّة تغيرات في هذا الدور مستقبلًا وعلى الأغلب لن تكون بصالحه.

خلاصة

يجدُ المتَتَبِّع أنَّ دور إيران في لبنان يعود إلى بداية عقد الثمانينيات وتطور من المجال الأمنيّ والثقافيّ إلى السياسيّ والاقتصادي، بإجادة استغلال الأوضاع والأزمات التي تمرُ بها لبنان من أجل ترسيخ هذا الدور عبر تقوية حلفائه عسكريًّا واقتصاديًّا وسياسيًّا، وأيديولوجيًّا ومعيشيًّا وثقافيًّا وربطهم عضويًّا بإيران.

وبالرغم من الترويج السياسي والإعلامي بأنَّ إيران هي الداعم الأساسي للبنان وشعبها. ولكن في الحقيقة إيران تعاني أزماتٍ مُتلاحقة ودعمها يقتصر على حزب الله دون غيره من المكونات وحتَّى الشيعيَّة منها التي لا تدين بالولاء لإيران وإنَّما بعد كلِّ حربٍ تتعرضُ لها لبنان، تتلقى الدعم من الدول الخليجيَّة وفي مقدمتها السعودية التي تكون المساهم الأكبر في عملية إعادة الإعمار، ومِن القوى الدوليَّة الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا والاتحاد الأوروبي.

وما يُميِّز الدور الإيراني في لبنان هو تغلغله المبني على البعد المذهبي والطائفي ورفع شعارات «المقاومة» و«معاداة إسرائيل» التي كانت شعاراتٍ سياسيَّة أكثر منها واقعيَّة، في حين عند المقارنة مع الدول الأخرى المؤثِّرة في الساحة اللبنانية لم يكُن البعد المذهبي بفاعلية ما اعتمدته إيران في علاقتها مع لبنان ودورها فيه.

وعند تتَبُّع ما استغلته إيران من فرصٍ ومقارنتها مع ما يواجه دورها في لبنان من تحدياتٍ، فإنَّ المتوقع في المستقبل أن يتراجع هذا الدور بعد أن تجلت حقيقتهُ وظهرت انعكاساته السلبيَّة على الواقع اللبناني من جهة، وفي ظل الضغوطات والعقوبات الدوليَّة التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية وانضمت إليها ألمانيا وفرنسا مؤخرًا من جهةٍ أخرى، والتي تهدفُ إلى محاصرة الدور الإقليمي لإيران، واتخذت العديد من الخطوات الجادة من أجل تحقيقه.

ومِن ثَمَّ يُمكن القول: إنَّ الأزمة التي يواجهها حزب الله اليوم، جاءت نتيجة اعتباراتٍ داخليَّة وخارجيَّة متسلسلة، بعضها نابعٌ من ممارسات الحزب الداخليَّة، وبعضها الآخر نابعٌ من طبيعة ارتباط الحزب بالإستراتيجية الإيرانية، وعليه، فإنَّ التحديَّ الذي تواجهه إيران اليوم، سينعكسُ في جزءٍ كبيرٍ منه على مستقبل حالة حزب الله في لبنان؛ ما يجعل الحزب بدوره يواجه سيناريوهات لا تقلُ خطورة عن تلك التي تواجه إيران.

المراجـــع والمصـــادر

(1) خالد جويعد أرتيمة العبادي، *"تأثير النفوذ الإيراني على الدول العربية (سوريا ولبنان) 2007-1979م"*، (مؤته: رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة، 2008م)، ص 98.

(2) محمد خالد، "حزب الله" حصان طروادة إيران في لبنان، موقع البيان، (02 نوفمبر 2017م)، تاريخ الاطلاع: 03 أغسطس 2020م. *https://bit.ly/3djYRyp*

(3) علي حسين باكير، *حزب الله والمشروع الإقليمي الإيراني "العلاقة والدور"*، التقرير الإستراتيجي الارتيادي، الإصدار الرابع، (لندن: مجلة البيان والمركز العربي للدراسات الإنسانية، 1428هـ)، ص 172–171.

(4) مرفت زكريا، مسارات معقدة.. كيف يعيق التدخل الإيراني الانتقال السياسي في لبنان؟، المرجع، (02 أغسطس 2018م)، تاريخ الاطلاع: 10 أغسطس 2020م. *https://bit.ly/3iOqG3k*

(5) مأمون العمري، إيران تثير جدلاً جديدًا في لبنان: قاسمي يعلن فوز حزب الله بأعداد لم يعلنها الحزب، الأنباط، (12 يونيو 2018م)، تاريخ الاطلاع: 10 أغسطس 2020م. *https://bit.ly/33Moe92*

(6) طوني بولس، زيارة لاريجاني إلى لبنان... إحراج دياب وأهداف أخرى، إندبندنت عربية، (18 فبراير 2020م)، تاريخ الاطلاع: 10 أغسطس 2020م. *https://2u.pw/p18xb*

(7) محمود رشدي، بعد حظر حزب الله.. هل تخاطر بيروت وطهران بعلاقتهما ببرلين، موقع رؤية الإخباري، (07 مايو 2020م)، تاريخ الاطلاع: 10 أغسطس 2020م. *https://2u.pw/RmKTq*

(8) سعود المولى، *إيران والعالم العربي: "لبنان نموذجًا"*، (الدوحة: منتدى العلاقات العربيَّة والدوليَّة، 2013م)، ص 15.

(9) هدى رؤوف، تغيير الصورة الذهنية لحزب الله وإيران في المنطقة، إندبندنت عربية، (06 سبتمبر 2019م)، تاريخ الاطلاع: 10 أغسطس 2020م. *https://2u.pw/4HzWd*

(10) أحمد ثابت محمد وآخرون، أثر المذهبية في السياسة الخارجية تجاه الشرق الأوسط: دراسة حالة "العراق–سوريا–لبنان"، المركز الديمقراطي العربي، (16 يونيو 2017م)، تاريخ الاطلاع: 10 أغسطس 2020م. *https://bit.ly/3jRIjjT*

(11) طوني بولس، كيف قوض "حزب الله" النظام المصرفي في لبنان لنجدة إيران؟، إندبندنت العربية، (21 نوفمبر 2019م)، تاريخ الاطلاع: 11 أغسطس 2020م. *https://2u.pw/D4IWZ*

(12) حسين طليس، "سفن إيران تنتظر في البحر".. هل يخاطر لبنان؟، الحرة، (02 يوليو 2020م)، تاريخ الاطلاع: 09 أغسطس 2020م. *https://2u.pw/bztJ5*

(13) تفاصيل تجارة حزب الله بـ" المخدرات "، موقع 07) ،jbcnews يوليو 2013م)، تاريخ الاطلاع: 09 أغسطس 2020م. *https://bit.ly/36u2noI*

(14) علي الأمين، الاستثمار الإيراني في "لبنان الرهينة"، صحيفة العرب، العدد 10864، (09 يناير 2018م)، تاريخ الاطلاع: 09 أغسطس 2020م. *https://bit.ly/3lB1j6U*

(15) أحمد ثابت محمد وآخرون، أثر المذهبية في السياسة الخارجية الإيرانية، ***المرجع السابق***.

(16) جريدة القدس العربي، الدور الإيراني في لبنان وأهمية حزب الله الإستراتيجية، (06 سبتمبر 2014م)، تاريخ الاطلاع: 03 أغسطس 2020م. *https://2u.pw/Go2pA*

(17) خالد جويعد أرتيمة العبادي، تأثير النفوذ الإيراني على الدول العربية، ***المرجع السابق***، ص120.

(18) حسن منيمنة، إيران في لبنان: حقيقة صعبة لابد من مواجهتها، الحرة، (11 ديسمبر 2020م)، تاريخ الاطلاع: 03أغسطس 2020م. *https://2u.pw/16Rwi*

(19) انتصار مرنيز، *"دور البعد الثقافي في توجيه السياسة الخارجية الإيرانية تجاه منطقة المشرق العربي بعد الحرب الباردة"*، (المسيلة: رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة محمد بو ضياف، 2017/2016م)، ص 64.

(20) رضوى أحمد عبد الجليل، الإستراتيجية الإيرانية تجاه المنطقة العربية: دراسة حالة "العراق –لبنان"، المركز الديمقراطي العربي، (20 ديسمبر 2016م)، تاريخ الاطلاع: 12 أغسطس 2020م. *https://bit.ly/3iOs2eq*

(21) فاطمة فصاعي، التدخل الإيراني في لبنان تحت راية "حزب الله"، شبكة العين، (06 يناير 2016م)، تاريخ الاطلاع: 11 أغسطس 2020م. *https://bit.ly/2GPtdgd*

(22) المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، الدور الإيراني في المعادلة اللبنانية.. المؤشِّرات والدلالات، (16 نوفمبر 2016م)، تاريخ الاطلاع: 03 أغسطس 2020م. *https://bit.ly/36X1mFQ*

(23) أحمد ثابت محمد وآخرون، أثر المذهبية في السياسة الخارجية الإيرانية، ***المرجع السابق***.

(24) علي الأمين، الاستثمار الإيراني في "لبنان الرهينة"، ***المرجع السابق***، ص8.
(25) نوران بديع، مغردون بعد تدشين تمثال قاسم سليماني: لبنان تحت العمامة الإيرانية، حفريات، (19 فبراير 2020م)، تاريخ الاطلاع: 11 أغسطس 2020م. *https://bit.ly/2JbiyxM*
(26) إبراهيم منشاوي، الأبعاد والتداعيات: النفوذ الإيراني في لبنان، المركز العربي للأبحاث والدراسات، (15 مارس 2016م)، تاريخ الاطلاع: 11 أغسطس 2020م. *https://bit.ly/36VDKBE*
(27) نديم قطيش، لبنان والخروج من كهوف ولاية الفقيه، جريدة الشرق الأوسط، العدد 15211، (21 يوليو 2020م)، تاريخ الاطلاع: 11 أغسطس 2020م. *https://bit.ly/36ONCwW*
(28) محمود رشدي، بعد حظر حزب الله، ***المرجع السابق***.
(29) نزار عبد القادر، ارتدادات التحولات الإقليميَّة على لبنان وتفعيل قطاع الأمن اللبناني، الموقع الرسمي للجيش اللبناني، (أكتوبر 2015م)، تاريخ الاطلاع: 19 أغسطس 2020م. *https://2u.pw/Y3Ca0*
(30) International Institute for Iranian Studies, *Annual Strategic Report 2019*, (Riyadh: International Institute for Iranian Studies, Mar 2020), p 179–180.
(31) سام نيس، التضحية بالدولة أو التضحية بِـ "حزب الله"، جريدة الشرق الأوسط، العدد 15119، (20 أبريل 2020م). *https://bit.ly/34IMcBv*
(32) قناة الحرة، لبنان والعراق... شعوب ترفض بصمة إيران المدمرة، (20 أكتوبر 2019م)، تاريخ الاطلاع: 03 أغسطس 2020م. *https://2u.pw/LQy4r*
(33) حنين غدار، الإستراتيجية الجديدة لِـ "حزب الله" لتخطي الأزمة المالية في لبنان، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، (02 مارس 2020م)، تاريخ الاطلاع: 09 أغسطس 2020م. *https://2u.pw/5saPj*
(34) طوني بولس، كيف قوض "حزب الله" النظام المصرفي في لبنان لنجدة إيران؟، ***المرجع السابق***.
(35) جريدة الاقتصادية، لبنان.. الارتهان وتدمير الاقتصاد، (28 يونيو 2020م)، تاريخ الاطلاع: 09 أغسطس 2020م. *https://bit.ly/36VlFDt*
(36) أحمد هاشم، البنك الدولي يكشفُ عن خسائر انفجار مرفأ بيروت، شبكة العين، (01 سبتمبر 2020م)، تاريخ الاطلاع: 05 أكتوبر2020م. *https://bit.ly/2SHAHEG*
(37) ناجي س. البستاني، خسائر لبنان من المُشاركة بإعادة إعمار سوريا أكبر من أرباحه!، النشرة، (01 يونيو 2020م)، تاريخ الاطلاع: 05 أكتوبر 2020م. *https://2u.pw/ZnJMz*
(38) ريا شرتوني، قطاع الأدوية اللبناني في مرحلة الأزمة الاقتصادية (تقرير)، وكالة الأناضول، (12 يوليو 2020م)، تاريخ الاطلاع: 10 أغسطس 2020م. *https://2u.pw/V1qkm*
(39) فاطمة فصاعي، التدخل الإيراني في لبنان، ***المرجع السابق***.
(40) حازم حسين، إنقاذ لبنان من عمائم الضاحية السوداء.. لماذا طالبت الأمم المتحدة الآن بنزع سلاح حزب الله وإنهاء حضوره في سوريا، اليوم السابع، (14 مايو 2020م)، تاريخ الاطلاع: 09 أغسطس 2020م. https://2u.pw/XsWwD
(41) راغدة درغام، قمع الثورة اللبنانية وارد بقرار إيراني وبمباركة روسية، موقع إيلاف، (17 نوفمبر 2019م)، تاريخ الاطلاع: 09 أغسطس 2020م. *https://2u.pw/04rV6*
(42) خالد كريزم، ليس لبنان فقط.. كيف حولت إيران 4 دول عربية إلى حدائق خلفية لأسلحتها؟، صحيفة الاستقلال، (09 أغسطس 2020م)، تاريخ الاطلاع: 09 أغسطس 2020م. *https://2u.pw/sUj5v*
(43) معاذ العمري، واشنطن تكشف عن تخزين «حزب الله» نترات أمونيوم في دول أوروبية، جريدة الشرق الأوسط، العدد (15270)، (18 سبتمبر 2020م)، تاريخ الاطلاع: 05 أكتوبر 2020م. *https://bit.ly/3iyHTxl*
(44) خيرالله خير الله، "حزب الله".. أنا لبنان ولبنان أنا، جريدة الشرق، (29 يوليو 2020م)، تاريخ الاطلاع: 09 أغسطس 2020م. *https://2u.pw/WO92o*
(45) محمد بركات، لبنان.. كورونا يفضح حكومة إيران، شبكة العين، (08 مارس 2020م)، تاريخ الاطلاع: 09 أغسطس 2020م. *https://bit.ly/30Wh1S6*
(46) عربي بوست، البعض يراه "ذنب" إيران.. هل يؤدي كورونا لانهيار نظام لبنان أم يقلص نفوذ حزب الله، (12 مارس 2020م)، تاريخ الاطلاع: 09 أغسطس 2020م. *https://2u.pw/jb9ac*
(47) إسحاق ديوان وجويل م. أبي راشد، لبنان: إدارة أزمة "كوفيد19–" في زمن الثورة، مبادرة الإصلاح العربي، (07 مايو 2020م)، تاريخ الاطلاع: 11 أغسطس 2020م. *https://2u.pw/1vdgn*

(48) Ali Hashem, The United States Is Pushing Lebanon Further Into Iran's Embrace, foreign policy, (July 16, 2020), Aug. 11, 2020. *https://2u.pw/RbOZB*

(49) أسامة زايدي، *"الطائفية الدينية وأثرها على الاستقرار السياسي في الدولة – دراسة حالة لبنان"*، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، 2017–2016م)، ص 85.

(50) رجائي سلامة الجرابعة، *"الإستراتيجية الإيرانية تجاه الأمن القومي العربي في منطقة الشرق الأوسط -1979 2011م"*، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط، 2012م)، ص 56.

(51) وائل نجم، الانتفاضة اللبنانية.. الأسباب الفاعلون والمآلات، نون بوست، (10 نوفمبر 2019م)، تاريخ الاطلاع: 11 أغسطس 2020م. *https://bit.ly/2FjrpM2*

(52) جريدة العرب، ما بقي من رحلة لاريجاني للاستحواذ الإيراني على لبنان، العدد 11623، (20 فبراير 2020م)، تاريخ الاطلاع: 10 أغسطس 2020م، ص6 خلال الرابط: *https://bit.ly/3jPbxA7*

(53) شفيق شقير، *"الحراك اللبناني: البواعث والمكونات والتداعيات"*، تقارير، (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 23 ديسمبر 2019م)، ص6.

(54) عربي بوست، لبنان، العراق أم سوريا .. من أيٍّ من هذه البلدان العربية ستبدأ الإمبراطورية الإيرانية الرابعة في التصدع، (27 نوفمبر 2019م)، تاريخ الاطلاع: 11 أغسطس 2020م. *https://2u.pw/P2AMO*

(55) فراس إلياس، بعد مظاهرات العراق.. أين تقفُ إيران مما يحصل في لبنان؟، نون بوست، (28 أكتوبر 2019م)، تاريخ الاطلاع: 10 أغسطس 2020م. *https://bit.ly/30VMyDx*

(56) International Institute for Iranian Studies, A*nnual Strategic Report 2019*, Ibid, p180.

(57) حنين غدار، قانون قيصر يدخل حيز التنفيذ (الجزء الثاني): الضغط على "حزب الله" في لبنان، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، (12 يونيو 2020م)، تاريخ الاطلاع: 09 أغسطس 2020م. *https://2u.pw/rjEkV*

(58) BBC عربي، حزب الله اللبناني: الجذور ومنابع النفوذ، (30 أبريل 2020م)، تاريخ الاطلاع: 11 أغسطس 2020م. *https://bbc.in/3516Dd9*

(59) كارول صباغ، سياسيون: زيارة لاريجاني للبنان "مسيئة" وتكرس هيمنة إيران، العين الاخبارية، (18 فبراير 2020م)، تاريخ الاطلاع: 11 أغسطس 2020م. *https://2u.pw/BTrDv*

(60) محجوب الزويري، دور إيران الإقليمي في العالم العربي والعلاقات بين الدولة والمجتمع الإيرانيين، مبادرة الإصلاح العربي، (13 يوليو 2020م)، تاريخ الاطلاع: 11 أغسطس 2020م، ص2. *https://2u.pw/wd25J*